النفس لم تحصل لمن اوتي عمره في التهذيب كذلك اي كل الاخلاق حصلت له صلى الله عليه وسلم
وتلك الاخلاق هي من سماته الشريفة بالاسانيد الصحيحة التي هي في كل منها اخبار احاد
متعددة تفيد مجموعها تواتر القدر المشترك منها وتفيد ثبوت ذلك الكلي له صلى الله عليه وسلم
كالحلم وهو كما في الشفا حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات وتمام التواضع
منه صلى الله عليه وسلم للضعفاء بعد تمام رفعته وتمام انقياد الخلق له والصبر وهو حبس النفس
وهو عند حلول ما تكره والعفو وهو ترك المؤاخذة بالذنب مع الاقتدار وقوله
وعن المسيء اليه متعلق بالعفو ومقابلة السيئة بالحسنة والجود وقد مر تفسيره
ففي صحيح البخاري عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير وكان اجود ما
يكون في رمضان الحديث وفيه عن جابر ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وتمام الزهد
في الدنيا وشدة الخوف من الله تعالى حتى انه ليظهر عليه اثر ذلك الخوف الشديد اذا
عصفت الريح ونحوه اي نحو وقت عصف الريح من الاوقات التي يعرض فيها عوارض
سماوية من الكسوف وغيره او نحو ما ذكر من هذه الاخلاق الشريفة كالوفا بالوعد واداء
الامانة وصلة الرحم والحيا وما ينتظم في هذا السلك فقد كان صلى الله عليه وسلم اعلى الخلق
مقاما في كل منها ودوام فكره كما وصفه بذلك ابن ابي هالة فيما اورده القاضي ابو الفضل
عياض في الشفا بقوله كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له
راحة ومن اراد تعرف شيء مما صدر من اثار هذه الاوصاف الشريفة منه صلى الله عليه وسلم
فعليه بكتاب الشفا وما في معناه من التواليف وتجديد التوبة والانابة في اليوم سبعين
مرة بل اكثر ففي صحيح البخاري عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني
لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وفي صحيح مسلم عن الاغر بن يسار
المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه
في اليوم مائة مرة وروى ابو داود والترمذي وصححه وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب
علي انك انت التواب الرحيم ولما كانت التوبة والاستغفار يقتضيان الذنب وهو صلى
الله عليه وسلم في الرتبة العليا من العصمة بين الشارح معنى التوبة والاستغفار في حقه صلى الله عليه وسلم
بما حاصله انهما ليسا عن ذنب وانما توبته الرجوع الى مولاه في ستر ما استنقص من السكر

بالنسبة

ما ورد

الى ما ارتقى اليه من المقامات الاكملية فانه عليه افضل الصلاة والسلام كلما بدا
له من جلال الله وكبريائه قدر كان مستغرقا بذلك من كمال الى اكمل فيستنقص بنظره
اليه اي الى ما بدا له ما هو فيه من القيام بشكره تعالى على تلك الانعامات العظيمة
وطاعته فيرجع الى الاعتصام به تعالى ويطلب الستر لما ظهر له من قصور الشكر
وقوله والفراغ بالجر عطفا على الحلم كالمعطوفات قبله فهو من اوصافه الشريفة الفراغ
عن هوى النفس اي ميلها الى مشتهياتها وعن حظوظها المنعوت ذلك الفراغ
بانه مما لا يقع الا لمن استولت عليه معرفة الله تعالى حتى زهد في نفسه حتى انه صلى الله عليه وسلم
ما انتصر لنفسه قط الا ان ينتهك حرم الله تعالى جمع حرمة اي الامور التي اثبت لها
الاحترام وما خير بين شيئين الا اختار ايسرهما اي على من صدر منه التخيير وان
كان الاحظ له صلى الله عليه وسلم الشيء الآخر فقد ساق صاحب الشفا باسناده من
الموطا رواية يحيى بن يحيى الى عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى
الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم
لله بها وهو في الصحيحين وسنن ابي داود بمعناه وغالب الفاظه وفي موضع
اخر من الشفا قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من
مظلمة ظلمها قط ما لم يكن حرمة من محارم الله وهو عند مسلم وابي داود بلفظ ما
ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا خادما ولا امراة الا ان يجاهد في
سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم
الله فينتقم لله وهذا اكد شأن دال على زهده صلى الله عليه وسلم في كل ما فيه حظ للنفس
ولعمري واصله القسم بحياة المتكلم ان من راه حال كون ذلك الرائي طالبا للحق لم
يحتج عند مشاهدته وجهه الكريم الى غيره لظهور شهادة طلعته المباركة بصدق
لهجته اي كلامه لان المتكلم يلهج بالكلام اي يصدر منه متكررا وصفا شريفا كما قال
المرتاد للحق فما هو الا ان رايت وجهه علمت انه ليس بوجه كذاب والمرتاد للحق هو الطالب
له والمراد به هنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقد روى الترمذي وابن ماجه
وغيرهما باسانيدهم عنه انه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئت لانظر اليه

Copyright © King Saud University